معجم ما استعجم

المؤلفات كالاشخاص منها ما يطاوله العمر فيشتهر وتتداوله الايدي الجيل بعد الجيل والقرن بعد الآخر ومنها ما ينسى ولا يطبع ومنها بين بين · وكتاب معجم ما استعجم لابي عبيد عبدالله بن عبد العزيز بن ابي مصعب البكري الوزير هو من الكتب التي عزت قبل الطباعة وقلما انتسخ منها في عصر مؤلفها وبعده في الغالب حتى ان ياقوتاً الرومي في معجم البلدان قال ان لابي عبيد كتاب المسالك والممالك (ولعله المطبوع) وكتاب معجم ما استعجم من اسماء البقاع ولم اره بعد البحث عنه والتطلب له · ولكن ما عز على المتقدمين تيسر للمتأخرين فان ابراهيم الجيني من اهل دمشق اكمل نسخ هذا الكتاب المعجم سنة ١١٠٠ في دمشق وكان اكمل الجزء الثاني سنة ١٠٩٥ اذ لم يجد الاول ثم علم ان في مكة نسخة منه عند الشيخ حسن بن العجيمي وبعد ثلاث سنين ارسل له هذا الجزء مع رجل الحجة من مصر فنسخها وردها لصاحبه الدمشقي ما اكمل نسخته وهذه النسخة بعينها هي التي نقلت في جملة الوف من كتب العلم من دمشق عاصمة الشام وعمرت بها مكاتب المانيا منذ منتصف القرن الماضي اذ كان القوم هنا لا يحرصون على غير البيتيات والسلطانيات من الاسفار

وقد قيض الله لنشر هذا المصنف البديع عالماً من علماء المشرقيات من الالمان الاستاذ وستنفلد شيخ الامة العربية في عصره المتوفى سنة ١٨٩٩ فنشره كما نشر معجم البلدان لياقوت ونشر نحو مائتي كتاب من كتب المسلمين في التاريخ والجغرافيا والنسب وغيرها مثل طبقات الحفاظ للذهبي والاشتقاق لابن دريد وسيرة ابن هشام والانساب للسمعاني والمشترك وضعاً والمختلف صقعاً لياقوت وعجائب المخلوقات وآثار البلاد للقزويني ووفيات الاعيان لابن خلكان فاستحق شكر الامة العربية بل الآداب العربية كما استحق ذلك الاستاذ دي كوي الهولاندي الذي طبع ثمانية تآليف في الجغرافية لائمة هذا الشأن من الاقدمين وسماها المكتبة الجغرافية العربية ·

وابو عبيد البكري هو كما قال ابن بشكوال عبدالله بن عبد العزيز بن محمد البكري من اهل شلطيش سكن قرطبة يكنى ابا عبيد روى عن ابي مروان بن حيان ابي بكر المصحفي وابي العباس العذري سمع منه بالمرية واجاز له ابو عمر بن عبد البر

الحافظ وغيرهم وكان من اهل اللغة والآداب الواسعة والمعرفة بمعاني الشعر والغريب والانساب والاخبار متقناً لما قيده ضابطاً لما كتبه جميل الكتب مهتماً بها يمسكها في ثياب الشرب اكراماً لها وصيانة وجمع كتاباً في اعلام نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام اخذه الناس الى غير ذلك من تواليفه وتوفي رحمه الله في شوال سنة سبع وثمانين واربعمائة .

وترجمه الفتح ابن خاقان في قلائد العقيان بما صورته : عالم الاوان ومصنفه ومقرط البيان ومشنفه بتواليف كأنها الخرائد وتصانيف ابهى من القلائد حلى بها من الزمان عاطلاً وارسل بها غمام الاحسان هاطلا ووضعها في فنون مختلفة وانواع واقطعها ما شاء من اتقان وابداع واما الادب فهو كان منتهاه ومحل سهاه وقطب مداره وفلك تمامه وابداره وكان كل ملك من ملوك الاندلس يتهاداه تهادي المقل للكرى والآذان للبشرى الى هناة كانت فيه فانه رحمه الله كان مغرماً بالراح ولا يصحو من خمارها ولا يمحو رسم ادمانه من مضمارها ولا يريح الاكف من تعاطيها ولا يستريح الا الى معاطيها قد اتخذ ادمانها هجيره ونبذ من الاقلاع نبذ عاصم بن الايهم مجيره الا انه كان القراص شعبان والصراة كانت فيه مستشنعة الذكر تمجها الاوهام والخواطر وينبو عنها السماع المتواتر

وقد اثبت له ما يشهد لك بتقدمه ويريك منتهى قدمه رأيته وانا غلام ما اثر خلالي ولا لح في الذكاء كوكبي ولا زلالي في مجلس ابن منظور وهو في غشة كأنما كسيت بالبهاء والنور وله سبلة يروق العيون ايماضها ويعرق السواد بياضها وقد بلغ سن ابن عمر وهو يتكلم فيفوق كل متكلم فجرى ذكر ابن مقلة وخطه والرهص [illegible] رفعه وحطه فقال :

خط ابن مقلة من ارعاه مقلته ... ودت جوارحه لو حولت مقلا
فالدر يصفر لاستحسانه حسداً ... والورد يحمر من ابداعه خجلا

وله فصل من كتاب راجع به الفقيه الاستاذ ابا الحسن بن دريد رحمهما الله : والله اني لا اعلم حين محاورتك يقف في اللهاة واحد لتخيل مجالستك ما يجده الغريق نجاة واعتقد في محاورتك ما يعتقده الجبان في الحياة :

متى تعطني الايام في ان ارى ... بغيضاً تنائي او حبيباً تقرب

ورأيت وقفتك في الكتاب الذي لم يتحرر ولم يتهذب وكيف التفرغ لقضاء ارب

والتشاطر [illegible] ولم يوجد لها [illegible] الا كما قيل :

وما كالحكم [illegible] غير نفعه من دارة السادات التي [illegible]

والله يبقيه [illegible] الرأي [illegible] والله [illegible] من الوجود الى العدم ويليه [illegible] الا [illegible] الله

والفاضل من [illegible] الوزير الاجل [illegible] بالوزارة ، اسعد الله [illegible] الدنيا والدين [illegible] الناس [illegible] والتمكين والحمد لله [illegible] وصلى الله [illegible] في كلام [illegible] الله [illegible] وصلاته دهر [illegible] .

[illegible] الله الوزارة [illegible] [illegible] بعد القضاء »

هذا هو المؤلف اما تأليفه فقد جعله على حروف المعجم ولكن على طريقة المغاربة [illegible] أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و ي . ويحتوي على اسماء [illegible] والبلاد والمياه والجبال [illegible] في بلاد العرب من الحجاز وتهامة [illegible] الشام العراق ونجد والموصل [illegible] المغرب [illegible] المشرق يشعر بالحاجة الشديدة [illegible] وهذا الكتاب ضروري كما يقول دوزي المستشرق الهولاندي لمن يدرس التاريخ القديم وجغرافيا واشعار الاقدمين والحديث فيذكر المؤلف رسم البلدة [illegible] ويستشهد بكثير من الاشعار التي ورد فيها ذكر هذه البقعة .

قال المؤلف هذا كتاب معجم ما استعجم ذكرت فيه جملة ما ورد في الحديث والأخبار والتواريخ والاشعار من المنازل والديار والقرى والامصار والجبال والآثار والمياه والآبار والدارات [illegible] منسوبة محددة . وقد [illegible] في المقدمة في الكلام على جزيرة العرب وحدودها [illegible] نحو ٥٥ صفحة من طبعه الطبعة التي طبعت في غوتنكن (المانيا) سنة ١٨٧٦ على [illegible] الاستاذ [illegible] المستشرق الذي تولى طبعه . واليك مثالا من وصفه [illegible] :

« حرشف [illegible] قال [illegible] [illegible] اي كل

بلا تعيين لان معنى خراسان بالفارسية مطلع الشمس والعرب اذا ذكرت المشرق كله قالوا فارس فخراسان من فارس وفي هذا تأويل حديث النبي صلى الله عليه وسلم لو كان الايمان بالثريا لناله رجال من اهل فارس انه عنى اهل خراسان لانك ان طلبت مصداق هذا الحديث في فارس لم تجده اولاً ولا آخراً وتجد هذه الصفة نفسها في اهل خراسان دخلوا في الاسلام رغبة ومنهم العلماء والنبلاء والمحدثون والمتعبدون وانت اذا حصلت المحدثين في كل بلد وجدت نصفهم من خراسان وجل رجالات الدولة من خراسان البرامكة والقحاطبة وطاهر وبنوه وعلي بن هاشم وغيرهم واما اهل فارس فكانوا كنار خمدت لم يبق لها بقية ولا شريف يعرف الا ابن المقفع وابنا سهل الفضل والحسن .

ومما قاله في رسم الربة وجلبت (ص ٦٣٧) جبل اسود في ارض الضباب بعيد ما بين الطرفين كثير معادن التبر وكان به معدن يدعى النجادي كان لرجل من ولد سعد بن ابي وقاص يقال له نجاد بن موسى به سمي ولم يعلم في الارض معدن اكثر منه نيلاً اخذ التراب والذهب قل بالآفاق كلها فارخصوا الذهب بالعراق والحجاز ثم انه تغير وقل نيله وقد عمله بنو نجاد دهراً قوم بعد قوم . . .

ومن فوائده ايضاً ما قاله فيما يؤنث من البلاد ويذكر قال : الغالب على اسماء البلاد التأنيث والوارد منها على احد امرين اما ان تكون فيه علامة فاصلة بينه وبين المذكر كقولك مكة والجزيرة واما ان يكون اسم المدينة مستغنياً بقيام معنى التأنيث فيه عن العلامة كقولك حمص وفيد وحلب ودمشق وكل اسم فيه الف ونون زائدتان فهو مذكر بمنزلة الشام والعراق نحو جرجان وحلوان وحوران واصفهان وهمذان انشد الفراء

فلما بدا حوران والآل دونه نظرت فلم تنظر بعينيك منظرا

وانشد ايضاً عن الكسائي

سقيا لحلوان ذي الكروم وما صنف من تينه ومن عنبه

هكذا رواه صنف بضم الصاد ورواه يعقوب صنف بفتحها وقال يقال صنف التمر اذا ادرك بعضه ولم يدرك بعض قال ولم أرَ شيئاً من ذلك مؤنثاً الا ما يذهب فيه الى معنى المدينة والاغلب على فيد التأنيث وكذلك [illegible] وقد تقدم ذكر ذلك في رسومها وقال ابو عثمان هي منى وهو منى وانشد العرجي

سقى حجر ثم رواه وساكنه   وما الهوى فيه والهي الودق يسحق

وقال الفراء الغالب في منى التذكير والاجراء والغالب في فارس التأنيث وترك الاجراء قال الشاعر

لقد علمت ابناء فارس انني   على عزبات النساء غيور

وهجر الغالب عليه التذكير وربما انثوها وقد انشدنا شعر الفرزدق في تأنيثها وجمع العرب قال الفراء انما اجرت العرب هنداً ودعداً وجملاً وهي مؤنثات ولم يجروا حمص وجور وماه وهي مؤنثات في كلام العرب لانهم يرددون اسم المرأة في غيرها ولا يرددون اسم المدينة في غيرها فلم تردد ولم تكثر في الكلام فلزمها الثقل وترك الاجراء وقال ابو حاتم بحر اليمامة مذكر ومؤنث قال وقيس مذكر في كل حال والغالب عليها التأنيث وكذا واسط والشاش فيذكران ويؤنثان وبدر مذكر قال الله عز وجل ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة وحنين مذكر لانهما اسما ماء قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم وربما انثته العرب لانه اسم البقعة قال حسان

نصروا نبيهم وشدوا ازره   بحنين يوم تواكل الابطال

والحجاز واليمن والشام والعراق ذكران ومصر مؤنثة قال الله تعالى أليس لي ملك مصر وقال تعالى ادخلوا مصر وقال عامر بن والك في كتابه لمعاوية انما عمرو بن العاص اطعمته مصر واما قول الله عز وجل اهبطوا مصراً فانه اراد مصراً من الامصار وقرأ سليمان الاعمش اهبطوا مصر وقال هي مصر التي عليها صالح بن علي في قرنجرها ودابق يذكر ويؤنث من ذكر قال هو اسم النهر ومن انث قال هو اسم المدينة قال الشاعر في الاجراء

بدابق وأين مني دابق

وانشد الفراء في ترك الاجراء

لقد ضاع قوم قلدوك امورهم   بدابق اذ قيل العدو قريب

ونجد مذكر قال الشاعر

وان تدعي نجداً ادعه ومن به   وان تسكني نجداً فيا حبذا نجدا

وبغداد تذكر وتؤنث وقد مضى القول في ذلك وذكرنا كم من لغة فيها وصفين وقنسرين وماردين والسيلحين مؤنثات وكذلك نصيبين وفلسطين وقد مضى القول في اعرابها وحراء الغالب عليه التذكير والاجراء وربما انثوه وقد مضى الشاهد على ذلك واجاز الفراء ان تقول هذه حراء بالاجراء تقول هذه ثم تذهب الى الجبل كما

القول الف درهم والكلام هذا الف درهم وثبير مذكر وكانوا يقولون اشرق ثبير كيما نغير وكبكب معرفة مؤنث لا تجرى وهو اسم الجبل وما حوله وقد تقدم انشاد بيت الاعشى فيه اه .

هذه نموذجات من الكتاب وهو جمة فوائد للمتأدبين والطالبين وقد وقع في زهاء ٨٥٠ صفحة واضاف اليه ناشره فهرساً عاماً لاعلامه على عادة علماء المشرقيات في الاسفار التي يخرجونها بالطبع في بلادهم .

مسير ومصير

كل فرد لغاية هو غاد   لا يرى غيرها طريق سداد
باذلاً جهده وراء الاماني   حثيثاً يسعى لها في جهاد
غير ان الغايات مختلفات   فهي بين الاصلاح والافساد
والذي ينظر الخلائق في الدنيـا   يجتني بصيرة وانتقاد
لا يرى غير طامع يجمع الما   ل ويقتني وراغب في ازدياد
فكأن الانسان ما جاء الا   لمعاش ما بين ماء وزاد

* * *

قل لمن يجهل الحياة تفكر   في مصير الآباء والاجداد
كيف كانوا اين صاروا واين الرسل اين القرون من قبل عاد
اين اين الملوك اين الرعايا   اين اين القواد للاجناد
اين اين البناة اين المباني   اين من شيدوا كذات العماد
اين اسكندر واين هرقل   اين نمرود اين ذو الاوتاد
اين هارون اين فرعون موسى   اين كسرى وقيصر ذو الآد
اين من كتبوا الكتائب للحر   ب وصالوا بالمرهفات الحداد
اين من كانوا يحرصون على الما   ل ومن كان كعبة القصاد
هذه دورهم تجيبك عنهم   لو يجيب الجماد صوت المنادي !
صرعتهم كأس المنون ولما   يستفيقوا حتى اوان التنادي
وغدوا يحملون من بعد عرش المـــلك في موكب على الاعواد
وجفاهم اخوانهم ونديم   وجميع الاحباب والاولاد

واستقروا في ضيق اللحد باسمـــــد مثل السيوف في الاغماد
ورضوا بالتراب بعد فراش   من حرير موثر ووساد
جمعتهم دار المنون جميعاً   وهم من قبائل وبلاد
فغدا الضد يألف الضد طوعاً   وغريب تآلف الاضداد
ومليك الزمان منهم له الدو   د تدب عد الحسان الخراد
كل هذا وانت تطغى وتغتر   بدنيا مصيرها للنفاد !
انت في كل حالة حيث صاروا   صائر مثلهم بلا استعداد

***

سعد ان الانسان اعطاه الله   عقله من ساعة الميلاد
ذو نفاق وذو خداع وذو   مكر وذو شرة وذو استبداد
ايها المرء انت اشرف مخلو   ق على الارض ذو حجى وقاد
ايها المرء انت احسن خلق الـــــله خلقاً واحسن الاجساد
لم يكن خلقك الذي جئت فيه   عبثاً كالوحوش او كالجماد
بل لامر لا بل امور كثار   انت عنهن غافل في رقاد
طاعة الله رأسها فهو رب النا   س رب الفناء رب المعاد
مرسل الريح منشئ السحب داحي الـ   ارض بل رافع الطباق الشداد
واحد ماله بكل شريك   جل عن والد وعن اولاد
نزهته الظنون من كل شيء   نزهته العقول عن انداد

***

انما الفضل ان علمت هو العلم   وبذل الندى وبيض الايادي
والتحلي بالادب مع شيم الالف   وغوث اللهيف بالانجاد
طلب المجد عزة النفس حسن الذكـــر نيل الفخار طول النجاد
سعة الخلق عفة الجيب نفع الـ   ـناس طراً من حاضر او باد
سيرة العدل لهجة الصدق حفظ الـ   ـعهد حفظ الذمام صدق الوداد
كل عارف بفضلها من   حاز مجداً من طارف وتلاد
ايها الغافل انتبه من رقاد   ان ذا العصر ليس عصر الرقاد
ان ذا العصر عصر رب المساعي   ان ذا العصر عصر واري الزناد

ان ذا العصر عصر جذب ودفع   عصر نيل العلى بطول السهاد
ان ذا العصر عصر نور وهدي   عصر علم عصر الحجى والسداد
عصر سبق ومفخر ورقي   عصر سير البحار والمنطاد

***

ليت شعري متى تلين قلوب   من أناس قست كصم الصلاد
فيؤاسي الذي منهم اخا الفقـ   ـر ويضحي الشحيح سمح الايادي
ويعيش الفتى بارغد عيش   لا يرى عيش شدة ونكاد
وتمر الايام طراً على النا   س يعدونها من الاعياد
ويصير الغبي منهم نبيهاً   عارفاً بالاصدار والايراد
ويعود من قد دعي لاذاة   حين يدعو كنافخ في رماد
ثم تغدو ترعى مع الذئب شاء   وظباء الفلا مع الآساد

***

لست ادري وليتني كنت ادري   اي يوم تزول فيه العوادي
اي يوم يموت فيه غواة   قد تمادوا في الغي اي تماد
كم أضلوا عن الهدى واستبدوا   بالديانات ايما استبداد !
كلما قام مصلح ثم يدعو   هم اليه رموه بالالحاد
فمتى يا ترى يبدد شمل   ذو اجتماع من عصبة الاوغاد
ومتى تسترد بغداد مجداً   سالفاً للفتى أنى يعاد !
يوم كانت في عصر هرون تزهو   مثل زهو الربيع بالاوراد
وتمر المياه منها فتسقي   جنة بعد جنة في الوهاد
وتشد الرحال من كل فج   لحمى ربعها ومن كل واد
كل ركب قد سار يقفو ركـ   أمها من شواسع الابعاد
فهي ملقى الآمال مجمع الاماني   مجمع الناس منهل الوراد

***

« يا سواد العراق (بعضك) الجد   ب فقصرت البياض وسط السواد !
يا سواد العراق فيك كنوز   يعلم الله ما لها من نفاد
يا سواد العراق اعلاك الفو   م وقد كنت روضة المرتاد

يا سواد العراق انك ذا اليو   م من الضغط في ثياب حداد !
يا سواد العراق تبكيك عين الـ   شعر ذا اليوم عن سواد المداد !
يا سواد العراق شلت يمين   ذات اثم دلت عليك الأعادي

* * *

ليتني كنت في الزمان اماما   شيمتي شيمة الكريم الجواد
وهماما تخشى لقاه كماة الـ   حرب في يوم معرك وجلاد
فاذيق الطغاة طعم المنايا   واكيد البغاة ابطل العناد
وابيد الخمول والجهل والظلـ   م وجيش النفاق من بغداد
ثم امسي في كل قطر ومصر   قائداً للطغاة بالمرصاد
وارى القتل والشهادة في دء   واسى غاي المنى وكل المراد
حبذا الموت في سبيل المعالي   والمنايا في خدمتي لبلادي

* * *

ان خير القريض ما كان منه   يطرب السامعين بالانشاد
والذي نظمه يقص على القا   ري وعظاً يذيب صم الجماد
فهو طوراً ما بين امر ونهي   وهو طوراً ما بين حاد وهاد
وهو حيناً بين المآتم ناع   واوانا بين العرائس شاد
خالي الذكر من احاديث لبنى   وسليمى وزينب وسعاد
سلس اللفظ والعبارة جزل   معجز باهر كشعر زياد (١)
ان هذا ياسعد غاية سؤلي   ان هذا ياسعد جل اعتقادي
هو مقصودي الذي طول عمري   أتمناه من صميم فؤاد
ان أكن مخطئاً فاني ابن انثى   او مصيباً فمن صحيح اجتهاد

بغداد   كاظم الدجيلي

---

(١) يريد به زياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبياني